

التبيان في تفسير القرآن

(342) تسمية عيسى بانه ابن ا، لان هذه اللفظة لاتستعمل حقيقتها إلا في من خلق من مائه أو ولد على فراشه، ومجازها في من يجوز ذلك فيه. ولذلك لايجوز أن يتخذ الشاب شيخا ابنا، وان جاز ان يتبنى بصبي، ولايجوز ان يتخذ البهيمة ابنا، لما لم يجر ان تكون مخلوقة من مائه على وجه. والحنيفية التي امرا به بآن يتبع ابراهيم فيها عشرة اشياء: خمسة في الرأس وخمسة في الجسد. فالتى في الرأس: المضمضة. والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، والفرق لمن يكون طويل الشعر، والتي في الجسد: فالاستنجاء، والختان، وحلق العانة، ونتف الابط وقص الاظفار وجميع ذلك مستحب الا الختان والاستنجاء، فانهما واجبان. وفيه خلاف ذكرناه في الخلاف. وقال الجبائي كلما كان تعبدا به ابراهيم، فانه تعبد به النبي (صلى الله عليه وآله) وأمه وزاده اشياء لم يتعبد بها ابراهيم (ع) وعموم الآية يقتضي ما قاله، وإن كان ذلك شرعا لنبينا من حيث اعلمه الله ذلك، وتعبد به بوحى من جهته. قوله تعالى: (و ما في السماوات وما في الارض وكان الله بكل شئ محيطا) (126). آية لما ذكر الله تعالى انه اتخذ ابراهيم خليلا لطاعته ربه واخلصه له العبادة، ومسارحته إلى رضاه، بين ذلك بفضله لامن حاجة إلى خلته فقال: وكيف يحتاج إلى خلته من له ما فى السماوات والارض من قليل وكثير ملكا، ومع ذلك مستغن عن جميع خلقه. وجميع الخلق يحتاجون اليه فكيف يحتاج إلى خلة ابراهيم، لكنه اتخذه خليلا لمسارحته إلى رضاه وامثاله ما يأمره به. " وكان الله بكل شئ محيطا " يعني لم يزل الله عالما بجميع ما فعل عباده ان كان محسنا اياه، وان كان مسيئا عاقبه ان شاء.